

بحث حول كثرة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى قيام يوم الدين.

لا ريب أن شريعة الإسلام وضعت حلاً لكل مشكلة ولم تترك مجالاً في كافة مجالات الحياة إلا ووضعت له ضوابطه التي تملأ بإتباعها-الحياة بالسعادة.ولكن سوء التطبيق يحول قد يحول الحل إلى مشكلة ومن ذلك الطلاق الذي وضعه الإسلام حلاً للمشاكل الزوجية التي يصعب حلها ومع ذلك اعتبره (أبغض الحلال إلى الله) وأنه (يهتز منه العرش)وما ذلك-حسب ما يبدو- إلا لأهمية الأسرة في الإسلام ولعدم تحويل الطلاق من حل إلى مشكلة.إن كثرة الطلاق تعني جهل المجتمع وابتعاده عن قيم الشريعة الإلهية المقدسة وعدم القدرة على بناء الأسرة بشكل محكم ؛كما تعني الانهزام والضعف عن إيجاد الحلول للمشاكل التي يمكن أن تحصل داخل الأسرة ،كما تعني المساعدة على نشر المفساد في المجتمع كضياع الأطفال وحرمانهم من الحنان الكافي ، وغير ذلك من المفساد التي يمكن أن تتحول إلى بركان مدمر.ولذا ينبغي أن نضع اليد على أهم الأسباب التي ينتج عنها كثرة هذه الظاهرة .وقبل ذلك نذكر بعض ما نشر في شبكة الإنترنت عن هذه الظاهرة: ((في تقرير إخباري لفضائية الحرة- عراق بثته مساء الخميس ١٢/١٢/٢٧ أفاد أن حالات الطلاق في العراق في تزايد،تتصدرها بغداد الكرخ وتليها الناصرية، ثم النجف في المرتبة الثالثة، مسجلة أرقاماً قياسية، وصلت إلى (٥٠%) من عدد المتزوجين، وأن القضاة وصفوا ظاهرة الطلاق بأنها صارت توازي ظاهرة الإرهاب!.وأفاد تقرير من إحدى محاكم الكرادة بأن عدد حالات الطلاق فيها تتراوح بين (٢٠ – ٥٠) حالة في اليوم الواحد،وأنها صارت مصدر رزق للمحاميات والمحامين وكتّاب العرائض!.

وفقاً لمجلس القضاء الأعلى،فان عدد دعاوى الطلاق في العام ٢٠٠٤ كانت (٢٨٦٨٩) ،وارتفعت في عام ٢٠٠٥ إلى (٣٣٣٤٨)،ووصلت في عام ٢٠٠٦ إلى (٣٦٦٢٧)..وقفزت في عام ٢٠١٢ لتصل في عدد من المدن العراقية إلى ما يشبه الكارثة هو (٥٠) حالة طلاق مقابل (١٠٠) حالة زواج..أي أن كل مليوني حالة زواج يقابلها مليون حالة طلاق!!!..والمفارقة الثالثة أن مدينة النجف بوصفها مدينة محافظة ومقدسة سجلت أرقاماً غير مسبوقة تراوحت بين (٢٥-٣٠%) قياساً لعدد المتزوجين..فكيف بمدن عراقية أخرى ليس لها هذا الطابع؟!))

((فإذا كان الزواج المبكر يشكل أحد الأسباب الرئيسة للطلاق ،فإنه دخل على أسبابه التقليدية في زمن الديمقراطية متغير جديد هو الفضائيات والمسلسلات الأجنبية:فجيل الشباب في العراق يختلفون عن كل شهاب العالم بكونهم ولدوا في حرب و نشأوا في حرب و يعيشون في أكثر من حرب،وأنهم مأزومون نفسياً ،ولثير منهم فهم الحرية بالطريقة التي تقدمها المسلسلات الأجنبية التي تطرح الطلاق كما لو كان حالة عادية.ولأن الزمن الديمقراطي لم يقدم لجيل الشباب الأنموذج الأخلاقي الراقي فإنهم استسهلوا الطلاق.. يؤكد ذلك تقرير يفيد بحصول أكثر من عشرة آلاف مطلقة من مواليد عام ١٩٩٥ في عامين،وتقرير آخر يفيد بأن نسبة الطلاق في الفئة العمرية دون العشرين بلغت ٣٠% من حالات الزواج المسجلة في مدينة عراقية محافظة)).

((وكيل السيد السيستاني في مدينة الشعب، ويعمل في المجال الشرعي (زواج وطلاق) يقول إن نسبة الطلاق قبل ٢٠٠٣ قاربت ٣% .لكنها ارتفعت إلى ٢٩% في عام ٢٠٠٥.ثم ارتفعت إلى ٥٠% في العام ٢٠٠٧. وبلغت ٦٥% العام ٢٠٠٩.

وحسب بيان صدر من مجلس القضاء الأعلى. فان دعاوى الطلاق لعام ٢٠٠٤ كانت ٢٨ ألفاً و٦٨٩. ارتفعت إلى ٣٣ ألفاً و٣٤٨ في ٢٠٠٥. ثم ارتفعت مجدداً إلى ٣٥ ألفاً و٦٢٧ في ٢٠٠٦. وارتفعت

مجددًا في العام إلى ٤١ ألفًا و ٥٣٦ حالة طلاق في ٢٠٠٧. وحقت نسبة الطلاق انخفاضًا في الأشهر الأولى من العام ٢٠٠٨. إلا أنها عادت لترتفع في العام ٢٠٠٩ بواقع ٨٢٠ ألف و ٤٥٣ حالة طلاق.)) كشفت محكمة الأحوال الشخصية في محكمة استئناف ذي قار الاتحادية عن ارتفاع حالات الطلاق خلال العام الماضي مقارنة بالعام ٢٠٠٩، لاسيما حالات الطلاق لأكثر من مرة. وجاء في الإحصائية التي حصلت "الصباح" على نسخة منها، أن دعاوى الطلاق خلال العام الماضي بلغت ١٣٩٣ دعوى، موزعة بواقع ١١٤١ دعوى تصديق طلاق حصل خارج المحكمة، و ٢٣٦ دعوى طلب التفريق و ١٦ دعوى طلب طلاق.

وبينت أن حالات الطلاق التي حصلت في المحافظة خلال العام ٢٠٠٩ بلغت ١١٩٦ حالة، توزعت بواقع ٩٧١ دعوى تصديق طلاق حصل خارج المحكمة و ٢٩٧ دعوى طلب تفريق و دعوى طلب طلاق واحدة.

وأشارت الإحصائية إلى ارتفاع حالات الطلاق لأكثر من مرة إذ بلغت ٣٩٣ حالة و ١٠٠٠ حالة طلاق للمرة الأولى في العام ٢٠١٠، في حين بلغت ٩٦ حالة طلاق لأكثر من مرة و ١٢٠٠ حالة طلاق للمرة الأولى في العام، مضيفة أن حالات الزواج خارج المحكمة ارتفعت من ١٠٠٩ حالة في العام ٢٠٠٩ إلى ١٠٨٧ حالة خلال العام الماضي.

وعزا القاضي محمد جاسم من محكمة الأحوال الشخصية في مدينة الناصرية أسباب ارتفاع نسب الطلاق إلى الظروف الاقتصادية وتضخم أعداد الأسرة الواحدة داخل المنزل، فضلا عن التدخلات العائلية في شؤون الزوجين ما تسببت بحدوث مشكلات بينهما. وأضاف في تصريح لـ "الصباح"، إن من بين الأسباب أيضا سهولة الزواج والطلاق، وتباين المستويات الثقافية بين الأزواج والقصور في فهم الواجبات والحقوق الزوجية، والزواج المبكر، مبينا أن أعلى نسب الطلاق سجلت للفئة العمرية للفتيات من مواليد ١٩٩١ - ١٩٩٧ (((يقول المحامي حسام الغراوي: "إن العراق شهد ارتفاعًا هائلًا في نسبة حالات الطلاق. حيث تقع في محاكم بغداد الرصافة في الكرادة والمحاكم التابعة لها ملحقًا بها الزعفرانية قرابة ٢٠ إلى ٥٠ حالة طلاق يوميًا.!"

ولفت الغراوي إلى صعوبة الحصول على أرقام وإحصائيات دقيقة حول العدد الكلي لحالات الطلاق. لكن ارتفاع حالات الطلاق أصبحت ظاهرة خطيرة لها تهديداتها حال مشكلة الأرامل وأضاف: "يقع الطلاق بين الفئات العمرية التي تتراوح بين ٢٨-٣٨ سنة. وخلال السنوات الثلاثة الأخيرة ارتفعت حالات الطلاق بشكل هائل. وربما يمكن إيجاد حالة طلاق واحدة بين كل حلتى زواج أو ثلاثة. والأمر يشمل تقريبا كل محافظات العراق دون استثناء. على الرغم من حصول تفاوت في الأرقام. فقد سجلت أرقام في محكمة الأحوال الشخصية في مدينة ميسان من ٥٢-٧٥ حالة طلاق يوميًا. أما الانبار فسجلت ٣٥-٤٢ حالة طلاق يوميًا. وكربلاء أكثر من ٤٥ حالة طلاق يوميًا، وهكذا في عموم محافظات العراق ويعزو المحامي حسام الغراوي أسباب الطلاق في العراق إلى تدخل العائلة في حياة الزوجين إضافة إلى المحاميات والمحامين الذين لا يعملوا على إصلاح ذات البين بين الزوجين.))

((أما المحامي طارق حرب، فقد حمل منظمات المجتمع مسؤولية ارتفاع نسبة الطلاق في العراق منذ ٢٠٠٣ إلى يومنا هذا. وانتقد حرب بشدة منظمات المجتمع قائلا: "تتحمل منظمات المجتمع المدني التي

تتقاضى أموالاً من الولايات المتحدة الأميركية والتي انتشرت خلال الأعوام الماضية مسؤولية ارتفاع نسبة الطلاق. حيث تعتمد المسؤوليات والعمالات في تلك المنظمات على إقامة مؤتمرات لا عد لها. ويتابع: "وهي بمجملها مؤتمرات تحرض المرأة على إتباع النمط الأميركي في التعامل. وتعتبر تلك المنظمات أن أي كلمة يقولها الزوج لزوجته تعتبر إساءة بالغة. وتطالب المنظمات بتطبيق اتفاقيات سيداو وغيرها غير مدركات لخصوصية وتفرد المجتمع العراقي"

وأردف: "لماذا لا تعتمد مسؤوليات منظمات المجتمع المدني إلى تكريس مفهوم قدسية الزواج بدلاً من التطويل و التزمير لأفكار أميركية لا تصلح في مجتمعاتنا العربية والعراقية على وجه التحديد؟! وتشرح عبير، وهي من مواليد ١٩٩١، حكاية انفصالها عن زوجها، قائلة: "أجبروني على الزواج بابن خالتي رغم ارتباطي عاطفياً بزميل لي في الجامعة. لم أحب زوجي ولم أحمله، وتنازلت عن كل حقوقي حتى الذهاب أعدته إليه مقابل الحصول على الطلاق. كنت أظن أنني سأرتبط بمن أحب حسبما وعدني، لكنه وبعد حصولي على الطلاق أصبح يبتعد عني تدريجياً. عندما حاولت مواجهته تملص. وعرفت فيما بعد انه لا يريد الارتباط بمطلقة!!"

((أبو محمد سائق تاكسي، وهو أيضاً انفصل عن شريكة حياته، وعن ذلك يقول: "توفت زوجتي وتركت لي ٤ أطفال، بحثت عن زوجة تشاركني حياتي تقدمت لخطبة الكثيرات لكن لم تعجبني أي واحدة منهن. ثم أخبرتني جارة لنا بوجود امرأة طيبة في خانقين فأخذت أمي وأخواتي وتقدمت لخطبتها وتزوجتها خلال أيام الزواج الأولى اكتشفت إنها عتيقة ومتصلبة. لم تحظ بقبول أولادي ورضاهم لأنها كانت قاسية جداً معهم. حاولت التفاهم معها ونصحها دون جدوى. لا تجي الطبخ أو التعامل برفق معي." ويتابع أبو محمد: "قررت النوم في غرفة منفصلة بعدما اشتدت المشاكل بيننا. وعلى الرغم من أن زوجتي ولدت لي طفلاً إلا أنني قمت بتطليقها لأنه لا يمكن العيش مع امرأة متسلطة وعتيدة ولا تجيد فعل شيء سوى الصراخ وافتعال المشاكل."

أما صلاح ضابط شرطة، فهو أيضاً له حكاية مع الطلاق، وعن ذلك يشرح: طلبت زوجتي الطلاق لأنني ضربتها بعد أن اعترف ابني انه سمع أمه تتحدث مع رجل آخر في الموبايل. واجهتها فأكرت، طلبت منها الاتصال بالرجل أمامي فترددت، وضربتها. وذهبت لعملي ثم اتصلت أمي بعد اقل من ساعة لتخبرني أنها هربت وأخذت أطفالها إلى محافظة أخرى. ثم قامت برفع دعوى الطلاق وحرمتني لثمانية أشهر من التحدث مع أطفالها.

ويتابع: "وعندما رأيت الأطفال بعد تدخل أهل الخير أخبروني أنها وإخوتها يضربونهم بشدة ويربطونهم بالحبال تحت الشمس ويجوعونهم على الرغم من أنها تأخذ نفقة حضانة ٤٠٠ ألف دينار (عراقي) شهرياً. أخبرني أطفالها أنهم على استعداد ليشهدوا في المحكمة على ما يقاسونه. أريد استعادتهم وحمائتهم من شرها وعائلتها. لكن القضاء يمنح الحضانة أولاً."

وبدوره، تقول المطلقة رجاء، وهي أم لأربعة أطفال: "والدهم لا يعمل ولا يقوم بإعالة حتى نفسه، وقد كان ذلك سبب طلاقنا، حيث إنني كنت أسكن مع أهله. تنازلت عن كل حقوقي حتى أنني بعث مصوغاتي وغرفة النوم والحصة التموينية. كان يأخذ المال مني ويصرفه وأبقى تحت رحمة عائلته القاسية. قضيت عمري اخدمهم دون أن أجد ما اطعم به أطفالها. كان زوجي يضربني ويطرمني من البيت كلما طلبت منه أن تحمل المسؤولية. طلبت الطلاق لأسلم من الضرب والتجريح)).

((الباحثة الاجتماعية رونق جبار ترجع أسباب الطلاق إلى العامل الاقتصادي والتهرب من مسؤولية الإنفاق، إضافة لضعف الوازع الديني والتحلل من القيم والمبادئ والأعراف وتقول جبار: "التأثر بالثقافة الغربية بشكل خاطئ واعتمادها وتطبيقها في الواقع والحياة العراقي رغم

عدم صلاحيتها لمجتمع كالمجتمع العراقي. وكذلك التزويج برغبة من الأهل لكلا الزوجين أو احدهما وتعطيل وغياب إرادتهما عند إبرام العقد". وبحسبها أيضاً، فإن الزواج المبكر هو أحد الأسباب الرئيسة للطلاق، ولا سيما أن هذا النوع من الزواج يكون هدفه إشباع الرغبات الجنسية الجسدية، وأيضاً بسبب مرور المجتمع العراقي بوضع خطر متمثلاً بالانحدار الاقتصادي الاجتماعي والنفسي، الذي نجم عنه تفككاً اسرياً، سرعان ما أصبح مدعاة للخلافات والنزاعات الزوجية.

وتتابع جبار: "هذا إضافة إلى قصور الثقافة العامة في المجتمع وعدم الفهم الصحيح لمسؤولية الحياة الزوجية. الانفتاح المفاجئ على العالم الخارجي الذي حدث في ٢٠٠٣. فبعد أن كان العراق مغلقاً ومنغلقاً ومعزولاً، أصبح بعد ٢٠٠٣ مفتوحاً بشكل مفاجئ على العالم الخارجي وبلدان العالم وشعوبه". وتقول الباحثة الاجتماعية: "وساهمت سيطرة السلايت والمسلسلات المدبلجة على إثارة المشاكل بين الأزواج. خصوصاً الزوجة التي تريد أن يصبح زوجها نسخة من بطل المسلسل التركي وهو أمر لا يمكن تحقيقه، لأنه ليس واقعياً". ولفتت جبار إلى أن العائلة قد تؤدي دوراً أساسياً في وقوع الطلاق. حيث تحدثت المشاكل بسبب تدخل أهل الزوجة وخصوصاً تدخلاً سلبياً وهو أمر لا بد وان ينتهي بالطلاق خصوصاً عندما تتعنت الزوجة)).

بعد ما ورد نعرف أن الطلاق وصل إلى حد الكارثة الاجتماعية مع الإلتفات إلى المشاكل الاجتماعية التي تتجم عنه ولذا ينبغي أن نضع أيدينا على الأسباب التي تسبب حدوث الطلاق والتي يجمعها وجود أزمة في الدين والأخلاق فأى سبب لأي مشكلة إنما يندرج -بتقديري- تحتها. إن النقص في التربية الدينية لمجتمع اليوم قد طفحت آثاره على مختلف المستويات بحيث أصبح الفرد من أبناء المجتمع المسلم لا يملك من الإسلام إلا الإلتواء أما عملياً فهو إنسان بعيد عن الدين. وأنى لمثل هذا الفرد أن يكون مطمئناً في حياته و هو بعيد عن ذكر خالقه غير منضبط بشريعته. فالدين الحق يجعل الفرد منسجماً مع فطرته التي جبل عليها. وبالنسبة للأخلاق فإن نبي الإسلام قد قال ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)). فما يعانيه المجتمع اليوم من نقص في الدين والأخلاق سبب أساس لتحطيم مؤسسة الأسرة ولذا جاء في الحديث ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)).

ومن أهم أسباب كثرة الطلاق:-

١- الإختيار:

لقد أكد ديننا على ضرورة إختيار الزوج الصالح في كثير من الآيات والروايات. ومن ذلك ما ورد في فروع الكافي الجزء ٥- ح- ٩٤٥٩ عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع) خير نساءكم الخمس (١)، قيل: يا أمير المؤمنين وما الخمس؟ قال: الهيئة اللينة، المؤاتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى وإذا غاب عنها زوجها حفظت في غيبته فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب.

وورد في نفس المصدر ح ٩٤٥٥ عن أبي حمزة قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها .

وورد النهي عن تزويج الفاسق والمنحرف عدم التزوج لأجل المال أو الجمال أو غير ذلك وإنما جاء الحث إعتماً على الدين والخلق . كل ذلك لأجل بناء أسرة محكمة الأساس غير مهددة بالإنهيار . ولأجل ذلك إهتم الإسلام بضرورة الحرية في الاختيار كما جاء في المصدر السابق ح - ٩٧٤٨ عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: إني أريد أن أتزوج امرأة وإن أبوي أرادا غيرها، قال: تزوج التي هويت ودع التي يهوي أبواك . وما ورد في زواج الباكر بإذن أبيها فلأجل التأكد من مستقبلها لقصورها عن ذلك وهذا ما يكون عاملاً مهماً في الحفاظ على الأسرة .

إن الفرد يكون في متسع قبل أن يدخل بيت الزوجية فله أن يختار من يناسبه شريكاً لحياته فيدقق ويسأل عن الدين والأخلاق والسمعة والعمل وغيرها مما يريده وهنا لابد من التأكيد على كون ((المستشار مؤتمن)) لا أن يمدح الفاسق فيوقع من انتمنه واستشاره في ورطة العيش مع فرد متحلل أو تارك للصلاة أو متعجرف ونحو ذلك .

فمن السهل أن يرضى الفرد - سواء الرجل أو المرأة - أو لا يرضى قبل الدخول في الحياة الزوجية ويعتبر ذلك شيئاً طبيعياً شرعاً وعرفاً وقانوناً . أما بعد ذلك فهو من أبغض الحلال عند الله شرعاً ، ومما يسبب المشاكل الاجتماعية عرفاً ، ومما يملأ المحاكم بالمراجعين ويثقلهم بالتكاليف وينذر بالشؤم قانوناً .

صحيح أن الفتاة الباكر لا تزوج إلا بإذن وليها - الأب أو الجد - ولكن هذا لا يعني إرغامها على الزواج بمن لا ترغب؛ فهذا مما يجعلها مضطرة للدخول في ساحة مواجهة لا حياة تنعم بالدفء و الاستقرار تنتهي غالباً باستسلامها أو زوجها لقرار إنهاء المواجهة بالطلاق ، فتعود البنت إلى أهلها وقد أصيبت بانتكاسة تعصف ريحها بحزن أبويها وبقيّة أسرتها وهم يرون فشل تجربتها التي أرغموها على خوضها و لات حين مندم .

٢- تدخل الآخرين السلبي في شؤون الزوجين:-

إن الإسلام يحرص على أن تكون العلاقة بين الزوجين من أقوى العلاقات بحيث لا يمكن اختراقها من قبل الآخرين ؛ فمابين الزوج وزوجته من الروابط والضوابط ما يختلف عن كل العلائق الأخرى مهما كانت مهمة . وعلى الآخرين أن يساهموا في تقوية هذه الأصرة . إلا أن الملاحظ عند البعض - مع الأسف الشديد - الحرص الكبير على تحطيم كيان الزوجية بالتدخل السلبي لا سيما من أهل الزوجة و الزوج - بقصد أو بغير قصد - فتبدأ الطلبات المخرجة والتشكيكات وغيرها بالسريان بين الزوجين ثم البروز فإحداث المشاكل المختلفة التي قد تنتهي بالفراق . وكم كانت حياة الزوجين ضحية تدخل أم الزوج أو أم الزوجة . نعم الإسلام دعا إلى التدخل الإيجابي عند عجز الزوجين عن حل مشاكلهما ((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها)) سورة النساء - آية ٣٥ . والويل لمن سعى في هدم كيان

الأسرة ففي عقاب الأعمال للشيخ الصدوق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في آخر خطبة في المدينة قبل وفاته : ((ومن عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه غضب الله ولعنته في الدنيا والآخرة وكان حقاً على الله أن يرضخه بألف صخرة من نار ، ومن مشى في فساد ما بينهما ولم يفرق كان في سخط الله ولعنته في الدنيا والآخرة وحرّم النظر إلى وجهه)). وفي المقابل قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ومن مشى في إصلاح بين امرأة وزوجها أعطاه الله تعالى أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله حقاً، وكان له بكل خطوة يخطوها وكلمة في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها)) ويا له من أجر عظيم من الرب العظيم وعلى لسان النبي العظيم لبيان عظمة الأسرة في الإسلام التي لم يعرفها الكثير من أبناء الإسلام لانسياقهم وراء من يسعى لتحطيمها .

٣-التقصير في أداء الحقوق

يحرص ديننا الحنيف على أن يتعاون أبناء المجتمع الواحد ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)) ويعتبر ذلك من صفات المخلصين ((أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)). وبالنسبة للزوجين فالدين يدعو إلى أن يكون التفاهم والتعاون بين الزوجين الغالب على حياتهما ووعده عليه الأجر في الآخرة فقد ورد في فروع الكافي ج- ٥ ح (١٠٣٧٣) عن أبي عبد الله (ع) قال: ((إذا صلت المرأة خمسا وصامت شهرا وأطاعت زوجها وعرفت حق علي (ع) فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت)). وفيه ح (١٠١٨٧) قال أبو عبد الله (ع): أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها وأيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها.

وجاء في عقاب الأعمال عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته الأخيرة : ((من كانت له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت دهرها وقامت الليل وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أول من يرد النار))، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها مؤذياً ظالماً)).

إن النقص في الدين والأخلاق يجعل الفرد عاجزاً عن حل مشاكله فضلاً عن الكف عن افتعالها؛ فالحياة الزوجية معرضة لحدوث بعض المشاكل بقصدٍ أو بغيره فلا بد أن يتعاطى الفرد إيجابياً مع اختلاف مزاج الآخر ويرى أنه إنسان له تقلباته وتأثراته ويجعل الحوار البناء وسيلته لبناء الأسرة الصالحة ، وقد يكون من واجبه الأخلاقي التضحية ببعض حقوقه لأجل الحفاظ على أسرته. إن الكثير من الأزواج يقصر في حق الآخر وتكون النتيجة حدوث المشاكل الأسرية، فقد يكثف الرجل كل جهده خارج المنزل ولا يترك لأسرته إلا القليل من الوقت أو لا يترك لهم شيئاً أحياناً فتبقى زوجته حبيسة دارها أسيرة انتظاره فيفد عليها غير ملتفت إليها وما إن ينتهي من طعامه حتى يخلد في منامه مخلفاً زوجة غارقة في همومها. كما قد تجعل المرأة اهتمامها بشؤون المنزل والأطفال متناسية أن لها زوجاً يريد أن يسكن إليها لتزيل عن كاهله أعباء مصارعة الحياة . ومما يتعلق بهذا الجانب تقصير بعض الأزواج في النفقات بدون عذر فتتحمل المرأة عبئاً قد تضطر إلى إلقائه بالطلاق. و نلاحظ أن البعض من الأزواج يؤدي

شريكة في الحياة بلسانه أو تصرفاته ولا ينتهي عن افتعال الأزمات ما يؤدي بعد تراكم المشاكل إلى الطلاق فقد يضحي البعض بكل شيء لأجل راحته النفسية؛ فأى حياة مع زوجة لا تعرف للحياة معنى إلا حدة اللسان ومحاولة إبراز سيطرتها على حساب زوجها، وأى طعم للحياة مع زوج لا يجيد إلا تنقيص الآخر وإظهار عيوبه وعدم شكر الجميل . فهذه وأمثالها من التقصيرات تؤدي إلى إحداث المشاكل وقد تنتهي بالطلاق.

وهنا من المناسب أن نذكر بعض ما في كتاب الأخلاق والآداب الإسلامية :

-عن النبي (ص) : ((أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان)).

-عن النبي (ص) : ((ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم))

-عن النبي (ص) : ((حق المرأة على زوجها يسد جوعتها وأن يستر عورتها ولا يقبح لها وجهاً))

-عن النبي (ص) : ((من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب على بلائه)).

٤- العنف الأسري :

يقول الله تعالى ((ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))

يحرص الدين الإسلامي على أن يكون الحوار الهادف البناء هو السبيل لإظهار الحق والدعوة إليه وينبذ العنف إلا عند الضرورة ولذا لا يصح القتال في الجهاد إلا بعد الحوار مع الطرف الآخر وتعريفه بمحاسن الإسلام ولا يبدأ المسلمون بالقتال حتى يبدأ الطرف الآخر . وإذا كان هذا مع الكفار فكيف بالأسرة الواحدة التي يريد لها متراسة مندمجة ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)) . ولذا ينهانا الدين عن العنف الأسري أشد النهي فقد ورد عن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إنني لأتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها)). إن حالات العنف الأسري من الرجل تجاه المرأة أو من المرأة تجاه الرجل أو من الأبوين تجاه الأطفال ؛ يفقد الأسرة جو المحبة والطمأنينة . والعنف لا يصدر في الغالب إلا ممن يشعر بالنقص أو الضعف أمام الآخرين فيعوض بتسلطه على من هو أضعف منه ؛ ولا يصدر إلا من العاجز عن حل مشاكله بالحكمة والتعقل . هذا العنف الذي أصبح على قارعة طريق الأسرة يهددها بفقدان الأمن و الاستقرار و ينصب أشراكه ليفصل بين الزوجين ؛ سواء كان العنف بالضرب أو الصراخ أو التهديد أو التثمت والإهانة وكل هذا مما لا يريده الإسلام فلا ضرب ولا شتم ولا أي شكل من أشكال العنف يشجعه ديننا الحنيف .

يقول الأستاذ مظاهري في كتاب الأخلاق البيئية : ((فإذا ما ردت المرأة على زوجها بحدة اشتعلت نار الغضب وإذا ما تفاقم الأمر بدت العداوة والبغضاء لتصل في نهاية الأمر إلى كسر زجاجة المحبة وحينها تبدل المحبة بالنفور)).

((وإذا ما حدث ذلك -التجريح والتحقير- انقلب الحب إلى بغض و ضغينة وعندها يبرز الكره ويصير الدار كالقبر الذي تلتهب فيه النار)).

((إن المنزل يحتاج إلى من يصرف عليه وإن الرجل يخرج صباحاً إلى عمله ليلتقي بهذا وذاك ويتعامل مع الناس ويداري نفسياتهم ليحصل في نهاية المطاف على مقدار من المال يصرفه على أسرته وعند رجوعه يتوقع أن يحصل قدر كاف من الراحة والهدوء ليديم عمله في اليوم التالي فإذا ما كنت -أيتها السيدة- عابسة الوجه غاضبة غير متبسمة تشكين إليه هذا وذاك فسوف يزداد تعبا بالإضافة إلى تعبته الذي جاء به إلى البيت. وأنت -أيها الرجل- إذا ما رأيت زوجتك على هكذا حال تبسم في وجهها بالرغم من مشاكلك وتعبك وعنائك فمثلما لا تحب أن تراها عابسة الوجه فهي الأخرى تكره أن تراك غير باسم فما تحبه من غيرك عليك أن تعمل به ابتداء حتى تحصل عليه فإن فعلت ذلك ملأت البركة دارك وإصابتك رحمة من الله واسعة وغشتك الرأفة الإلهية في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى)).

٥- عادات سيئة:

لا ريب أن الناس كمعادن الذهب والفضة فعند البعض عادات اجتماعية سيئة يمكن أن تكون سبباً للطلاق كما نقل أن رجلاً طلق زوجته لأن العرافة (الكشافة) قالت بأنها قد وضعت له (سحر)، فهو فضلاً اكتسابه الحرام بذهابه إلى العرافة وتصديقها؛ قام بهدم أسرة بغير مبرر وعليه أن ينتظر الحساب في ساحة العدل الإلهي. ونقل عن قاضٍ متقاعد أن امرأة طلبت الطلاق من زوجها لأنه (وسخ) جداً وهذا من الغرائب. ومما يندرج تحت هذا تعاطي المخدرات والعادات المنحرفة الأخرى التي تسبب المشاكل الأسرية وتؤدي بالتالي إلى الطلاق.

٦- الفقر:

مع ((إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)) فقد يكون الفقر سبباً للطلاق؛ ولا شك أن الكثير من المشاكل الأسرية تحدث بسبب وجود أكثر من أسرة داخل المنزل الواحد فتحدث النزاعات وقد تنتهي بافتراق وطلاق الزوجين. وهذا السبب كان ضعيفاً في زمان سابق عندما كان المجتمع يعيش حياة البساطة، أما اليوم فإنه يعتبر من الأسباب المهمة للطلاق مع النقص الكبير في الدين والأخلاق.

٧- التعدد:

لا شك أن الإسلام أباح تعدد النساء للرجل لمصالح -لا مجال لذكرها الآن- وكان الواجب مراعاة أحكام الدين القويم، لكن الأمر نحى منحى الإفراط والتفريط لجلى الناس. وقد يكون التعدد سبباً للطلاق فإذا رغب الرجل بالزواج الثاني تطلب منه زوجته الطلاق، وقد يكون شرط خطيبته للقبول أن يطلق زوجته وقد يكون التخلي عن الزوجة بفعله وتقصيره هو.

٨- الترف:

هناك حد اعتدال في كل شيء بعيداً عن الإفراط والتفريط ومنها النعم، والله تعالى يقول ((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)) وورد في الحديث: أن حامل التحفة إلى أهله كناقل

الصدقة إلى قوم محاييج . فالإعتدال لا يعني عدم الاستفادة من النعم بل يعني ((كلوا واشربوا ولا تسرفوا)) إن مجتمعنا اليوم بات يحب الإسراف ويطبقه في أغلب المجالات حتى في بعض الجوانب العبادية كرفع أصوات مكبرات الصوت بمستوى يؤدي إلى التأثير السلبي على حياة الآخرين . إن الزوجة اليوم أصبحت لا تقتنع بحاجاتها القديمة فلا بد من مجارة الآخرين في ما يلبسون ويأكلون ويفعلون . ولا شك أن من لا يستطيع توفير ذلك سوف يقع في الإحراج لا محالة وسيكون هذا بداية لمسلسل من المشاكل الأسرية قد ينتهي بالطلاق .

٩- الإنفتاح :

لأغلب الأشياء إيجابيات وسلبيات . ولا ريب أن الإنفتاح على الثقافات الأخرى يسهم في التعرف على علومهم وحضارتهم ويمكن أن يستفيد الفرد والمجتمع من حضارة الآخرين وتجاربهم في الحياة . ولكن من المهم جداً أن يحترم الإنسان ثقافته وحضارته وأعرافه وتقاليدته ؛ وفضلاً عن ذلك لا بد من الحفاظ على دينه ؛ فإن الدنيا إنما جعلت في خدمة الإنسان لتكون مزرعته إلى الآخرة يجني منها ثمار الأعمال الصالحة التي تتحول إلى جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويلاحظ في مجتمعنا -مع الأسف الشديد- أن أبنائنا ينفثون على ثقافات الآخرين فيقلدونهم في كل شيء حتى في قصة الشعر و اللباس و طريقة المشي ونحو ذلك ؛ من دون تمحيص للنفع والضرر على الدين والسلوك والسمعة ، وبلا احترام للأعراف الإجتماعية التي تعتبر من مصادر قوة مجتمعنا . ولا سبب لهذا الإندفاع إلا الشعور بالنقص أو الجهل أو التمرد ونرى أبنائنا الأعزاء بمظهرهم اليوم لا يحتفظون بأي صفة تميزهم عن المجتمع الغربي وهذا معيب على مجتمعنا . إننا عندما نجد إهتمام الشعوب الأخرى بثقافتها وأعرافها ؛ نشعر بالأسف على تفريطنا بقيم وأعراف وتقاليد تفتقر إليها بقية المجتمعات بل وتحسدنا عليها . تنشر القنوات الإعلامية المختلفة الكثير من المآسي التي تنم منها المجتمعات الأخرى وكيف أن التحلل والجرائم الكبرى شيء طبيعي حتى وصل الأمر إلى وضع إحصائيات مخيفة لمختلف الجرائم خلال الساعة الواحدة وهذا في أكثر مناطق العالم تحضراً كـ (لندن ونيويورك) ؛ وأبنائنا يلهثون وراء تلك الحضارة غافلين عما يراد بهم . إن التعامل مع وسائل الإنفتاح ينبغي أن يكون مسبوقاً بتحسين ديني وأخلاقي للمستخدم ؛ وإلا فإن هذه الوسائل تتحول إلى سيل عرم يهد أركان المجتمع كما نرى اليوم أن الأمر تفاقم حتى وصل الغزو الثقافي إلى أخطر وأقدس حالة إجتماعية جعلها الله تعالى من آياته فلوثوها بثقافتهم المنحرفة وهي (الأسرة) . ولا أجدني مضطراً لسوق الأدلة على ذلك بعد أن أصبحت بعض البلدان الإسلامية تساهم بشكل منقطع النظير في نشر ثقافة تلوين الأسرة ثم القضاء عليها . إن الإعلام اليوم يكثف جهوده لنشر الرذيلة والتحلل الخلقي والخيانة الزوجية ، والغريب أن نجد الإستعداد الخاص لنشر مسلسلات خاصة بأيام وليالي شهر رمضان والمواسم العبادية الأخرى ؛ كي لا تبقى فرصة للإنسان كي يعود إلى ربه من جديد لعله يتمكن من قهر نفسه ويصح مسيرته . والأغرب أن نجد التقليد الأعمى من قبل أبناء الإسلام لمن يريد سلخنا عن الدين والأخلاق بدلاً من الإنتباه والحذر فأبناؤنا اليوم لا يريدون أن ينتبهوا أو لا يستطيعون ذلك وهنا تكمن الخطورة . تجلس

الأسرة اليوم رجالاً ونساءً؛ صغاراً وكباراً فيتابعون المسلسلات والأفلام التركية وغيرها التي تجعل التحلل الخلقي والسرقة والجرائم الكبرى أمراً طبيعياً ومن يمثل هذه الأدوار يكون من بطولات العرض؛ فيترك آثاراً في النفوس لا حدود لها . وبعد أن ينتهي المسلسل أو الفلم يتم التوجه إلى شبكة الإنترنت ويتم التواصل المحرم والإطلاع على آخر الصور الخليعة وآخر النتائج المتحللة وبالخروج إلى الشارع والسوق لحاجة أو غيرها مع وضع المكياج والملابس المنيئة وبنشر الروائح المثيرة وتوزيع الابتسامات ووجود المتصيدين وإمكانية التواصل باستخدام الهاتف النقال؛ يجري ما يجري خلف الكواليس . ولا يخفى اليوم أن هذا الأمر سبب كثيراً من حالات الطلاق بحسب الظاهر وما خفي أعظم. إننا اليوم مدعوون إلى مراجعة حساباتنا أكثر من أي وقت مضى ولا نقول بتحريم الاستفادة من وسائل التواصل فهي نافعة ويمكن أن تستثمر للتربية والتعليم ولتقوية علاقة الإنسان بخالقة -جل وعلا- وإنما نريد الحذر من الغزو الثقافي والحفاظ على أبنائنا وبناتنا الأعزاء أن يقعوا فريسة هذا الإنفتاح فيخسروا الدنيا والآخرة .

١٠-سهولة الطلاق:

إن وضع العراقي في طريق الطلاق قد يدعو المقدم إلى المراجعة ويكمن أن يندم على إقدامه على مفارقة شريك الحياة وتحطيم كيان الأسرة وهذا ما أثبتته بعض المتخصصين في المجال الديني وكذا القانوني ، فعندما يؤجل إقرار الطلاق ولأكثر من مرة يمكن أن تحصل فرصة أخيرة للإصلاح والعودة من جديد إلى دفة الزوجية. وهذا ما ينبغي أن يقوم به المأذون الشرعي وهو مما يليق بمقامه وما يحتمه عليه الواجب الشرعي والأخلاقي ؛ أن يكون عاملاً مساعداً في الحفاظ على كيان الأسرة وبالتالي الحفاظ على لبنة من هيكل المجتمع أن تنهار فتتحول إلى شكل آخر يشوه صورة المجتمع وقد يكون من أسباب تفككه. وكذلك ينبغي أن يكون المختصون في المجال القانوني ساعين في إعطاء آخر فرصة للمراجعة وأن يفعل دور الباحث الاجتماعي. ولا ريب أن عدم وجود أي تأجيل أو مشكلة أو عدم سماع أي نصيحة من المختصين سيسرع في إنجاز الطلاق حتى ما يصدر من فرد يمكن أن يكون متعصباً أو نحوه حين دخوله على المأذون الشرعي أوحين إقدامه على رفع دعوى في المحكمة.

التوصيات:

١-تكثيف الجهود من قبل رجال الدين لاسيما الخطباء والمبلغين والوجهاء في التعريف بخطورة شياع هذه الظاهرة والدعوة إلى بناء الأسرة على أسس سليمة ومدروسة .

٢-التركيز على الخطيبين قبل العقد للتأكد من القناعة الكاملة وعدم وجود ضغط في الاختيار.

٣-محاولة الإصلاح من قبل المأذون الشرعي أو المتخصصين في المحاكم الحكومية ما أمكن ذلك بمختلف الأساليب المتاحة وتفعيل دور الباحث الاجتماعي وعدم التسرع في إقرار الطلاق

٤- عقد لقاءات دورية بين المتخصصين في المجالين الشرعي والقانوني ، ومحاولة نقلها إلى أماكن مختلفة في المدينة والأرياف .

٥-نشر إحصائيات الطلاق بشكل دوري مع عرض الأسباب.

٦-نشر بوسترات ومنشورات خاصة بهذا الجانب تعرف بأهمية الحفاظ على الأسرة والأضرار الناجمة عن الطلاق.

٧-والأهم من جميع ذلك كيفية إعادة المجتمع إلى الله وتعريفه بدينه والتخلق بالأخلاق الإسلامية الفاضلة

دعأؤنا للمسلمين جميعاً بالوعي والتأخي والصلاح والانتصار على النفس والشيطان والأعداء الخارجيين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين

المصادر

١-القرآن الكريم.

٢-الفروع من الكافي للشيخ الكليني.

٣-ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق.

٤-الأخلاق والآداب الإسلامية لعبد الله الهاشمي.

٥-الآداب البيتية للأستاذ مظاهري.

خادم المنبر الحسيني

جاسم محمد جابر الساعدي

العراق /ذي قار/سوق الشيوخ

٢٩/صفر/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/١/١٢م